بعد الموت فهو من الدنيا فهل تنزهت عن ارادة الدنيا أو حبها ولو أن طبيباً نصرانياً وعدك بالموت أو المرض على تناولك الذ الشهوات لتحاشيتها واتقيتها اكان النصرانى عندك اصدق من الله تعالى فان كان ذلك فما أكفرك أو كان المرض أشد عندك من النار فان كان كذلك فما أجهلك فصدقت ثم ما انتفعت بل أصرت على الميل الى العاجلة واستمرت ثم أقبلت عليها فوعظتها بالواعظ الصامت فقلت قد أخبر الناطق عن الصامت اذ قال تعالى (ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الي عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) وقلت لها هبى انك ملت الى العاجلة أفلست مصدقة بان الموت لا محالة آتيك وقاطع عليك كل ما أنت متمسكة به وسالب منك كل ما أنت راغبة فيه وكل ما هو آت قريب والبعيد ما ليس بآت وقد قال الله تعالى (أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) أفأنت مخرجة هذا عن جميع ما أنت فيه والحر الحكيم يخرج من الدنيا قبل أن يخرج منها واللائم يتمسك بها الي أن يخرج من الدنيا خائباً خاسراً متحسراً فقالت صدقت فكان ذلك منها قولا لا تحصيل وراءه اذ لم تجتهد قط فى التزود للآخرة كاجتهادها فى تدبير العاجل ولم تجتهد قط فى رضاء الله تعالى كاجتهادها فى رضاها بل كاجتهادها فى طلب الخلق ولم تستحى قط من الله تعالى كما تستحى من واحد من الخلق ولم تشمر للاستعداد للآخرة كتشميرها في الصيف فانها لا تطمئن في أوائل الشتاء ما لم تفرغ من جميع ما تحتاج اليه فيه من آلاته مع ان الموت ربما يختطفها والشتاء لا يدركها والاخرة على يقين لا يتصور أن يختطف منها . وقلت لها ألا تستعدي للصيف بقدر طوله وتصنعي آلة الصيف بقدر صبرك على الحر . قالت نعم . قلت فاعصي الله بقدر صبرك على النار واستعدى للآخرة بقدر بقائك فيها . فقالت هذا هو الواجب الذى لا يرخص في تركه الا الاحمق ثم استمرت على سجيتها فوجدتنى كما قال بعض الحكماء ان فى الناس من يموت نصفه ولا ينزجر نصفه الآخر وما أرانى الا منهم ولما رأيتها منادية فى الطغيان غير منتفعة بوعظ الموت والقرآن رأيت أهم الامور التفتيش عن سبب تماديها مع اعترافها وتصديقها فان ذلك من العجائب العظيمة فطال عليه تفتيشي حتى وقفت على سببه وهو

أنا مؤتس واياه بالحذر منه فهو الداء العضال وهو السبب الداعى الى الغرور والاهمال وهو اعتقاد تراخي الموت واستبعاد هجومه علي القرب فانه لو أخبره صادق في بياض نهاره انه يموت فى ليلته أو يموت الى أسبوع أو شهر لاستقام واستوي على الطريق المستقيم ولترك جميع ما هو فيه مما يظن انه مما يتعاطاه لله تعالى وهو مغرور فيه فضلا عما يعلم انه ليس لله تعالي فانكشف تحقيقا ان من أصبح وهو يأمل ان يمسى أو أمسي وهو يأمل ان يصبح لم يخل من الفتور والتسويف ولم يقدر الا على سير ضعيف فاوصيه ونفسي بما أوصي به رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال صلّ صلاة مودّع ولقد أوتى جوامع الكلم وفصل الخطاب ولا ينتفع بوعظ الا به فمن غلب علي قلبه فى كل صلاة انها آخر صلاته حضر معه قلبه فى الصلاة وتيسر له الاستعداد بعد الصلاة ومن عجز عن ذلك فلا يزال فى غفلة دائمة وغرور مستمر وتسويف متتابع الى أن يدركه الموت فتدركه حسرة الفوت وانا مقترح عليه أن يسأل الله تعالى ان يرزقنى هذه الرتبة فانى طالب لها وقاصر عنها وأوصيه ان لا يرضى من نفسه الا بها وان يحذر من مواقع الغرور فاذا وعدت النفس بذلك طالبها بموثق غليظ من الله تعالى فان خداع النفس لا يقف عليه الا الاكياس

وأما أقل ما يجب اعتقاده على المكلف فهو ما يترجمه قوله لا اله الا الله محمد رسول الله ثم اذا صدق الرسول فينبغى أن يصدقه في صفات الله تعالى فانه حى قادر عالم متكلم مريد ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وليس عليه بحث عن حقيقة هذه الصفات وان الكلام والعلم وغيرهما قديم أو حادث بل لو لم تخطر له هذه المسئلة حتى مات مات مؤمنا وليس عليه تعلم الادلة التى حررها المتكلمون بل كلما حصل فى قلبه التصديق بالحق بمجرد الايمان من غير دليل وبرهان فهو مؤمن ولم يكلف رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من ذلك وعلى هذا الاعتقاد المجمل استمرت الاعراب وعوام الخلق الا من وقع في بلدة يقرع سمعه فيها هذه المسائل كقدم الكلام وحدوثه ومعنى الاستواء والنزول وغيره فان لم يأخذ ذلك قلبه وبقي مشغولا بعبادته وعمله فلا حرج عليه وان أخذ ذلك بقلبه فأقل الواجبات عليه ما اعتقده السلف فيعتقد فى القرآن

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)